



مقدمة:

أمر عظيم غفلنا عنه كثيرا، في الوقت الذي نحن فيه بأمس الحاجة إليه ليكون مصدر قوتنا وعزنا، ونعيده به توازن الحياة المنهاج، إنه الثقة بالله وعدم الحزن على مافات أو مما هو آت.

1- النهي عن الحزن

إن الحزن أمر طبيعي في الإنسان وهو من الأحوال الثمانية التي تعتريه وتعترضه ولكنها لا تدوم، ويجمعها قول من قال:
ثمانية تجري على المرء دائمًا *** وكل أمر لا بد يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة *** عسر ويسر ثم سقم وعافية
وإن هذا الحزن يصيب المسلم كما يصيب الكافر، فقد حزن النبي الله يعقوب لفراق ابنته يوسف،
قال الله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف:84].
وحزن النبي صلى الله عليه وسلم لموت ابنته إبراهيم، فقال وعيناه تدран: {إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمُعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزُنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ}. [1].

والحزن هو ألم يشعر به الإنسان ويتعلق بما مضى من أفعال ندم على ارتكابها بعد فوات الأوان، وهو مقرن بالخوف والوهن في القرآن الكريم كما هو مقرن في الحديث بالهم والغم، والخوف يتعلق بأمور مستقبلية يتوجس منها الإنسان وينتظر وقوعها، فيكون مهموماً فيؤذى به ذلك إلى الضعف والوهن.

ومن كان الله معه لا ينبغي أن يحزن على ما فات، ولا أن يخاف على ما هو آت، يقول الله تعالى: {يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ إِلَيْوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُنُونَ} [الزخرف:68].

ويقول سبحانه: {أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [يونس:62].
ويقول سبحانه: {إِذْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُنُونَ} [الأعراف:49].

ومن كان الله معه لا ينبغي أن يناله هم ولا وهن، يقول الله تعالى: {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الاعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}،
ويقول: {فَلَا تَهُنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمُ الاعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} [محمد:35].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيد بالله فيقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ) [2].

{لا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، إن هذه الآية الكريمة تحكي حالة النبي ﷺ مع صاحبه في الغار، حيث تبعهما المشركون حتى وقفوا بمقرية منها و قد انكشفوا أمام أعين عدوهما، لا يفصلهم عن الوصول إليهما إلا بضعة أمتار، وهنا يحزن أبو بكر ويرتعش، ليس بسبب خوف متجرد في نفسه؛ بل من أجل الخوف على مصير دينه وعقيدته، وهنا يعالج النبي صلى الله عليه وسلم الحال، وينفث بمنفحة في قلب أبي بكر ليهأ ويتناسك، فيقدم له قاعدة لا يجوز لمن يعيش في ظلها أن يتسرّب الحزن إلى قلبه أبداً، هذه الكلمة الجميلة الشجاعة قالها صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق وقد أحاط بهما الكفار، قالها قوية في حزءٍ، صادقة في عزمٍ، صارمة في جزمٍ: لا تحزن إن الله معنا. فما دام الله معنا فلم الحزن؟ ولم الخوف؟ ولم القلق؟ اسكن، اثبت، اهدأ، اطمئن؛ لأن الله معنا. لا تُغلب، لا تُهزم، لا تُنصلح، لا تُنفع، لا تُنفع، لا تُنفع، لأن الله معنا. النصر حليفنا، الفرج رفيقنا، الفتح صاحبنا، الفوز غايتنا، الفلاح نهايتنا؛ لأن الله معنا.

لو وقفت الدنيا كلَّ الدنيا في وجوهنا، لو حاربنا البشر كلَّ البشر، ونازلنا كلَّ مَنْ على وجه الأرض، فلا تحزن؛ لأن الله معنا. مَنْ أقوى مَنَا قلباً؟ مَنْ أهدى مَنَا نهجاً؟ مَنْ أَجَلَّ مَنَا مبدأً؟ مَنْ أَحْسَنَ مَنَا مسيرةً؟ مَنْ أَرْفَعَ مَنَا قدرًا؟ لأن الله معنا. ما أضعفَ عدوَنَا! ما أذلَّ خصمنَا! ما أَحْقَرَ مَنْ حاربنا! ما أَجْبَنَ مَنْ قاتلنا! لأن الله معنا.

لن نقصد بشراً، لن نلتجئ إلى عبادٍ، لن ندعُو إنساناً، لن نخاف مخلوقاً؛ لأن الله معنا.

نحن أقوى عدة، وأمضى سلاحاً، وأثبتُ جناناً، وأقوم نهجاً؛ لأن الله معنا.

نحن الأكثرون الأكرمون الأعلون الأعزون المنصوروون؛ لأن الله معنا.

يا أبا بكر! اهجرْ همك، وأزلْ غمك، واطردْ حزنك، وانسَ يأسك؛ لأن الله معنا.

يا أبا بكر! ارفعْ رأسك، وهدّي من روحك، وأرْجحْ قلبك؛ لأن الله معنا.

يا أبا بكر! أبشرْ بالفوز، وانتظر النصر، وترقبْ الفتح؛ لأن الله معنا.

غداً سوف تعلو رسالتنا، وتظهر دعوتنا، وتُسمع كلمتنا؛ لأن الله معنا.

غداً سوف نسمع أهل الأرض روعة الأذان، وكلام الرحمن، ونغممة القرآن؛ لأن الله معنا.

غداً سوف نخرج الإنسانية، ونحرر البشرية من عبودية الوثنية؛ لأن الله معنا.

هذه عناها رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله لأبي بكر الصديق وهم في الغار وقد أحاط بهما الكفار من كل ناحية، وطوقهما الموت من كل مكان، وأغلقت الأبواب إلا باباً واحداً، وقطعت الحبال إلا حبلاً واحداً، وعزَّ الصديق والقريب، وغاب الصاحب والبيب، وعجزت الأسرة والقبيلة، وبقي الواحد الأحد الفرد الصمد، حينها قالها عليه الصلاة والسلام: **{لا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}**.

إذن معنا الركن الذي لا يُضام، والقوة التي لا تُرُام، والعزّة التي لا تُغلب. وما دام الله معنا فمِنْ نخاف؟ ومن نخشى؟ ومن نرهب؟ فهو القوي العزيز، وهم الضعفاء الأذلاء، ما دام الله معنا فلا تأسف على قلّة من عدد، أو عوزٍ من عتاد، أو فقرٍ من مال، أو تخاذلٍ من أنصار.

إن الله معنا وكفى، معنا بحفظه ورعايته، بقوته وجبروته، بكافياته وعالياته، وإن أعظم كلمة في الخطب وأشرف جملة في الكرب هي هذه الكلمة الصادقة الساطعة: لا تحزن إن الله معنا.

وسَرَّ هذه الكلمة في مدلولها وعظمتها في معناها يوم تذكر معية الله عزَّ وجلَّ وهو الذي بيده مقاليد الحكم، ورقب العباد، ومقادير الخلق، وأرذاق الكائنات واليوم وقد نزل بنا ما ترون، فما الحيلة؟

الحيلة رفع ملف القضية، وأوراق الفاجعة، وسجل الكارثة إلى مَنْ على العرش استوى؛ ليقضى فيها بما يشاء، ولكن صاحب الرسالة ذا القلب المشرق الفياض أرسل لصاحبه أبي بكر رسالةً رقيقةً هادئةً حانيةً نصّها: لا تحزن، إن الله معنا، فصار

الحزن سروراً والهم فرجاً، والغم راحةً، والكرb فرجاً، والهزيمة نصراً عزيزاً.

عنـاـيةـ اللـهـ أـغـنـتـ عـنـ مـضـاعـفـةـ ***ـ مـنـ الدـرـوـعـ وـعـنـ عـالـ مـنـ الـأـطـمـ

وكلمة «لا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» يحتاجها المسلم كل آن؛ فإذا تكافف همك، وكثُر غمك، وتضاعف حزنك فقل لقلبك: {لا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}. وإذا غلبك الدين، وأضناك الفقر، وشواك العدم، فقل لقلبك: {لا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، وإذا هزتك الأزمان، وطوقتك الحوادث، وحلت بك الْكُرُبَاتِ، فقل لقلبك: إن الله معنا.

وذاب الحزن نعمة عظيمة يجب أن نحمد الله عليها كما حمده أهل الجنة: يقول الله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر:34].

ولهذا كان أحب شيء إلى الشيطان أن يُحزن العبد المؤمن ليقطعه عن عمله، ويوقفه عن فعل الخير فيزبن له التناجي بالغيبة والنسمة، قال الله تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة:10].

2- معنى معية الله تعالى للإنسان:

ومعية الله تعالى للإنسان تكون على نوعين اثنين:

الأولى: المعية الشاملة العامة التي تكون مع كل شيء في كل زمان ومكان، وتكون مع الإنسان مسلماً أو كافراً أياً كان، يرانا يعلم بوجودنا، ويرى أفكارنا ويعلم ما توسوس به نفوسنا، وما تخفي صدورنا، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد:4].

يقول الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} [المجادلة:7].

الثانية: المعية الخاصة وهي معية الحفظ والعناية، معية الجزاء والثواب، معية الفضل والإكرام، معية الرحمة والرأفة والإنعم، وهذه إنما تكون مع من كان مع الله في سره وعلانيته، يراقب الله تعالى في سيرته وفي سيرته وفي صورته، فتكون سيرته مليئة بمقامات اليقين: من الإيمان والمحبة والصدق والإخلاص والخوف والرجاء والشك والصبر والتوبه والزهد والتوكل والرضا، كما تكون سيرته في معاملاته وعباداته وعاداته وفق سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله تعالى معيته في القرآن الكريم مع المؤمنين ومع المتقين ومع المحسنين ومع الصابرين أما مع المؤمنين ففي قوله تعالى:

{وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال:19].

أما مع المتقين ففي قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة:194].

وأما مع الصابرين ففي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:153].

وقوله تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِحْكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:46] وأما المحسنين فقوله: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69].

وأسمع إلى هذه البشائر:

قال تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف:8-9].

وقال سبحانه: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتَنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات:171-173].

وقال عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:5].

فهذه كلها وعود جازمة بالنصر والتمكين، وعدنا بها من بيده ملك السماوات والأرض، وعدنا بها من قلوب العباد، وعقولهم،

ونواصيهم، وقواتهم، وأسلحتهم، وتحطيطاتهم، بيده وحده لاشريك له.. فهل تنكر من ذلك شيئاً؟..

ثم لا تنبهر عينك من كثرة الكافرين وتألبهم على المسلمين، ولا تخش من أسلحتهم، وتطورهم، وظهورهم، فإن كيدهم مهما عظم فهو ضعيف: **{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا}** [الطارق:15-17]

نعم أمهلهم رويدا.. وقد يكون هذا الرويد سنة أو سنتين أو عشرًا أو أكثر.. لكنه رويد مهما طال، وهم مع اجتماعهم، واتفاقهم على حربنا، إلا أنهم والله يوشكون أن يختلفوا ويقتتلوا، ويكفي الله المؤمنين القتال، **{تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}** [الحشر:14].

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال: **(لَا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)** [3]

هل تعلم؟!! سوف نقاتل اليهود! نعم اليهود، الذين يجري البعض الآن وراءهم يستجددهم السلام! سوف نقاتلهم، بل سوف نقتلهم، ويقاتلهم معنا كل شيء حتى الحجر والشجر!.

عن أبي هريرة أن رسول الله قال: **(لَا تَقُولُ الْمُسْلِمُونَ يَقْاتِلُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْاتِلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِأَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ)** [4]

3- أحسنوا الظن بالله ولا تقنطوا:

إن حسن الظن بالله تعالى واجب وهو أنس للعبد في حياته، ومنجي له بعد مماته، ولقد قال أحد العلماء: كلما كان العبد حسن الظن بالله تعالى حسن الرجاء له صادق التوكل عليه فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب فيه أمل آمل ولا يضيع عمل عامل ولا أشراح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به.

فيا أيها المجاهدون: تبرؤوا من حولكم وقوتكم وتكلوا على ربكم وثقوا به سبحانه وأحسنوا الظن به وكونوا على يقين بأنه إذا كان معنا فحن الأعلون بإذن الله، وما هذه الضوارق والمحن الشديدة التي نمر بها إلا بشائر من عند الله عزوجل للفرج القريب.

1 - رواه البخاري ومسلم

2 - البخاري/5425

3 - رواه مسلم

4 - رواه البخاري ومسلم

المصادر: